

مفاهيم القرآن

(42) 2. (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّكُمْ لَضَالٌّ عَلَىٰ نَفْسِكُمْ وَإِنْ أَهْتَدَيْتُمْ فَإِنَّكُمْ لَسَّابِقُونَ سَبْقًا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنًا عَلَىٰ رَحْمَتِنَا لَّا تَشْعُرُونَ) (1) ترى أن الآية تنسب الضلالة إلى نفس الإنسان، والهداية إلى وحيه سبحانه إليه، مع أن الهداية والضلالة كلاهما من الله سبحانه، وما هذا إلا لأن الله سبحانه قد هبأ كافة وسائل الهداية للإنسان منذ أن خلق إلى أن يدرج في أكفانه، وهي عبارة عن تزويده بفطرة التوحيد وتعزيزها ببعث الأنبياء والمرسلين، والعقل السليم، إلى غير ذلك من أدوات الهداية، فمن انتفع بها فقد اهتدى، فصح أن يقال: إن الهداية من الله لأنَّه زوّد الإنسان بوسائلها، و من لم ينتفع بها فقد ضلّ فصح أن يقال (إن ضللت فإنما أضلّ على نفسي). وبهذا المضمون قوله سبحانه: (مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّ سَبْقًا لَهُ بِرَبِّهِمْ وَإِن ضَلَّ فَإِنَّ سَبْقًا لَهُ بِرَبِّهِمْ) (2) 3. (وَقُلِ الْحَقُّ مِنِّي رَبِّ الْكُفْرِ) (3) ولا تجد في القرآن الكريم آية أكثر نصاعة في حرية الإنسان من هذه الآية، وقد صبّ شهيدنا الثاني (909 - 966هـ) مضمون هذه الآية ضمن بيتين، حيث قال: لقد جاء في القرآن آية حكمة * تدمر آيات الضلال ومن يُجبر وتُخبر ان الاختيار بأيدينا * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر _____ (1) سبأ: 50. (2) الإسراء: 15. (3) الكهف: 29.